

# أنصار القذافي بعد عشر سنوات من الإقصاء: اعتراف دولي على استحياء وحضور اجتماعي مؤثر

## ما حدث لليبيا من إسقاط للدولة لتمكين الإسلاميين رديف لما حدث للعراق

تعيد أحداث ما سُمي بثورة فبراير في ليبيا سنة 2011 إلى دائرة الضوء أنصار نظام الزعيم الليبي الراحل معمر القذافي. ورغم مرور عقد من الزمن لا يزال هذا التيار يحظى بدعم شعبي قوي وحضور اجتماعي مؤثر. وتقرّ أوساط سياسية بضرورة مشاركة هذا التيار في العملية السياسية باعتباره ورقة وازنة، وقد يقبل المعادلة لصالحه في حال مشاركته في الانتخابات.



الحبيب الأسود  
كاتب تونسي

طرابلس - في السابع عشر من فبراير الجاري تكون قد مرت الذكرى العاشرة لاندلاع الأحداث التي أدت للإطاحة بنظام الزعيم الراحل معمر القذافي بالاعتماد على تدخل خارجي مباشر في إطار ما سُمي آنذاك بموجة الربيع العربي. وخلال عقد من الزمن جرت مياه كثيرة في مصب الأحداث الدامية في البلد الثري بشمال أفريقيا الذي تلاعبت به رياح العنف والإرهاب والتجزؤات العقائدية والجهوية والقبلية والأطماع الخارجية. ولا تزال ليبيا تواجه مصيرا غامضا رغم كل جهود البحث عن حل لازمة وإرساء السلام ودخول مرحلة إعادة الإعمار.

ويشير المهتمون بالشأن الليبي إلى أن ما حدث في ليبيا في 2011 لا يمكن مقارنته بما حدث في تونس ومصر، حيث حافظت كل منهما على بنيتها الهيكلية ووحدة مؤسساتها وعلى أجهزتها السيادية من أمن وجيش ومخابرات وإدارة نشطة، وإنما هو رديف لما حدث في العراق بعد غزوه في العام 2003 حيث لم يتم الإكتفاء بإسقاط النظام، وإنما تعمدت أقوى القوى الخارجية إسقاط الدولة وضرب مؤسساتها التي كانت مرتبطة بعقيدة النظام، وملاحقة نخبها الحاكمة وتمزيق نسيجها الاجتماعي، والانتقال على إرث عقود من سيطرة النظام السابق لتكريس وجه جديد للبلاد يعتمد بالأساس على قوى الإسلام السياسي التي كان أغلب عناصرها يعيشون في عواصم أخرى، وتغليب منطق القوة والمغالبة باعتبار القادمين في حالة انتصار بسلاح الأجنبي، والسابقين منهزمين بضرورات الواقع، ولذلك لا يزال العراق منذ 18 عاما يواجه نفقا مظلمًا، ونفس الشيء بالنسبة إلى ليبيا منذ عشر سنوات.

### بين حفتر وسيف الإسلام

استطاعت قيادة الجيش استمالة نسبة مهمة من أنصار النظام السابق إلى مشروعها الوطني، فيما حاول الإخوان خرق الصف "الجماهيري" باستقطاب بعض السياسيين والعسكريين السابقين إلى مشروعهم بدعم قطري تركي شاركت فيه حركة النهضة التونسية وبعض الجهات الغربية، وانتظمت لقاءات عدة في تونس والمغرب وتركيا وسويسرا والسفاح.

وكان الهدف الإخواني منها شق الصف القبلي الذي يبدو في أغلبه مراهنا على سيف الإسلام باعتباره "الوريث الشرعي" لمشروع والده، والذي يحظى بشعبية جارفة في أغلب مناطق البلاد وخاصة لدى القبائل في غرب ووسط وجنوب البلاد.

وبينما لم تجد سلطات الوفاق في طرابلس منذ تشكيلها بعد اتفاق الصخيرات الموقع في ديسمبر 2015، بدأ من الإفراج عن عدد من رموز النظام السابق العسكرية والأمنية لأسباب وصفت بالصحفية، ومن بينهم محمد بلقاسم الرزوي وأحمد الشريف وعبدالحفيظ الزليطني والبريد الحمودي والبغدادي دودة وعبدالرحمن الصيد، لا يزال آخرون في سجون النظام رغم صدور أحكام في حقهم بالبراءة من التهم الموجهة إليهم ومن بينهم الساعدي القذافي وعبدالله منصور وعبدالله السنوسي.

وسعى الإخوان وحلفاؤهم إلى احتواء بعض عناصر النظام السابق، لكن محاولتهم باءت بالفشل. فيكفي أن يجلس أي شخص مع الجماعة حتى ينكشف وتتحرق أوقافه، وهو ما يرجعه المتابعون إلى امتلاك التيار لقوة مخابراتية متغلغلة داخل المؤسسات والكيانات السياسية وحتى داخل الميليشيات، وإلى قوة إعلامية تتمثل في قنوات تلفزيونية من بينها "الجماهيرية" التي تبث من القاهرة، و"ليبيا 24" التي تبث من لندن، ووكالة الجماهيرية للأنباء التي تبث أكثر نشاطا من الوكالتين الرسميتين لحكومتى طرابلس وبنغازي، إضافة إلى عدد كبير من المواقع الإلكترونية ونشاط بارز على مواقع التواصل الاجتماعي.

وعندما تم الإعلان عن الإفراج عن سيف الإسلام من مقر احتجازه في الزنتان، ارتفعت الأصوات المناهية بترشيحه للانتخابات، وتحرك مناصروه في مختلف المدن الليبية، وتم الإعلان عن تأسيس حراك "رشحناك" لدعم تقدمه على أي استحقاق انتخابي، لكن إصرار محكمة الجنايات الدولية على ملاحقته لا يزال يحول دون ظهوره إلى العلن

لا يمكن الحديث عن مجريات الأحداث في ليبيا خلال السنوات العشر الماضية دون الانتباه إلى طبيعة المجتمع الذي تهيمن الزعة القبيلة على أغلب سكانه. وهي نزعة كان القذافي يمثلها بامتياز ويتبنى تاريخها وخصوصياتها النفسية والاجتماعية والثقافية، ويتعامل مع توارثاتها بحذر بشديد في مختلف أرجاء البلاد التي لم تتوحد رسميا إلا مع إعلان استقلالها في العام 1951 وعلنيا بإلغاء النظام الفيدرالي في العام 1963.

ورغم أن أحداث 2011 انطلقت من المنطقة الشرقية بركوب الثورات الدينية المتشددة على مطالب الناشطين المسلمين، ما دفع بها إلى مربع العنف منذ الساعات الأولى، إلا أن ما حدث لاحقا هو أن الصراع اتخذ أبعادا جهوية وقبلية وعقائدية دينية، وقسم المجتمع بين أنصار للنظام رغم مؤاذات البعض على أدائه، وبين مناوئين له معتمدين على التدخل الخارجي.



### حان وقت المصالحة

2011 وإعادة النظر في أولويات العمل السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وتشكيل رؤية جديدة للعلاقات مع الغرب، والتركيز على تجاوز الماضي بالتأسيس للمشارك الوطني والتعاطي مع الواقع بمنطق التوافق أكثر من لغة الرفض المطلق للمختلف، من خلال سياسة براغماتية مبنية على مصلحة ليبيا أولا.

### تيار متعدد الأوجه

ينقسم أنصار القذافي إلى ثلاثة تيارات رئيسية: أحدها يؤسس تحركاته وفق براغماتية سياسية في مواجهة التدخل الخارجي ومحاولات الإخوان للسيطرة على البلاد وجزءها إلى سياسة المحاور. وهو الذي دعم مواقف البرلمان وقيادة الجيش وربط علاقات وطيدة مع الحكومة المؤقتة في المنطقة الشرقية، ونادى بضرورة التعامل مع أي خطورة إيجابية تهدف إلى إعادة الأمن والاستقرار وتوحيد الليبيين وإعلان المصالحة الوطنية وفتح المجال أمام الجميع للتنافس في انتخابات حرة ونزيهة.

أما التيار الثاني فهو متشدد في موقفه، وكانت له مواقف معادية للجيش، وسلك مخرجات فبراير 2011، ويعتبر كل من شارك فيها خائفا ولا يجوز التعامل معه. ويرى أن الشرعية لا تزال للنظام السابق، ولا حل لازمة إلا بعودة الحكم إليه. ويترجم هذا التيار فريق من قبلة القذافي وبعض القبائل الأخرى القريبة منها، وتقف وراء شخصيات يعيش أغلبها في الخارج. ويمثل التيار الثالث نسبة مهمة ممن وقفوا ضد النظام في العام 2011، ثم تراجعوا عن موقفهم بعد أن شاهدوا طبيعة ما آلت إليه الأمور في البلاد، وهذا التيار موجود في أغلب المدن والمناطق بما فيها المنطقة الشرقية ومصراة والزواوية والزنتان.

وقبل أسبوعين، وجه آخر متحدث باسم الحكومة الليبية في النظام السابق موسى إبراهيم رسالة قال فيها "نحن كإنصار النظام الجماهيري وبعد عشر سنوات من مؤامرة فبراير الأجنبية نحتاج أن ننجز الخطوات الليبية لحكم ليبيا".

ورغم أنه جاء متأخرا وعلى استحياء، إلا أن الاعتراف الدولي أعطى لإنصار القذافي دفعا مهما للتحرك بقوة وتوحيد صفوفهم والاستفادة من علاقاتهم وخاصة مع مصر والجزائر وروسيا وفرنسا وكذلك من نفوذهم الاقتصادي والدبلوماسي في عدد من الدول العربية والأفريقية والأوروبية. ولكنه يحتاج وفق الكثيرين إلى الخروج من دائرة "الفولكلور الجماهيري" بالتوجه نحو الاعتماد على النخب القادرة على القراءة النقدية العميقة لما قبل العام

ومؤيدي النظام السابق الذين استقبلهم علانية في مكتبه. وفي سبتمبر الماضي اعترفت بعثة الأمم المتحدة صراحة بضرورة تشريك النظام السابق في المسار السياسي، وأكدت ستيفاني ويليامز التي تولت رئاسة البعثة بالإجابة، أن أبرز فجوات اتفاق الصخيرات هو استبعاد أنصار النظام الجماهيري في ذلك الاتفاق، مؤكدة أنهم مجموعة لديها وجود ملحوظ على الأرض.

وقد سعت البعثة الأممية إلى تشريك أنصار النظام السابق في حوارات جنيف وتونس. وأكد مقربون من سيف الإسلام أنه تم الاتصال به شخصيا، وأنه هو من رشح بعض الأسماء المرشحة لعضوية البعثة للمناقشة على عضوية المجلس الرئاسي عن إقليم فزان. كما بادرت البعثة في نوفمبر الماضي إلى استصدار قرار من مجلس الأمن برفع قيود السفر عن أزمة القذافي صفة فراكش المقيمة في القاهرة وابنته عائشة المقيمة في مسقط.



أحمد قذافي الدم  
سيف الإسلام سيفوز في الانتخابات الرئاسية في حال ترشحه

وفي يناير الماضي، قال نائب وزير الخارجية الروسي سيرغي فيرشينين، إن القوى السياسية المختلفة في ليبيا، بما في ذلك أنصار الزعيم الراحل معمر القذافي، يجب أن تشارك في الحوار الوطني الليبي. وبعد أن رحب مصطفى الزاذلي، أمين اللجنة التنفيذية للحركة الوطنية الشعبية الليبية، بالدعوة الروسية، قال إن "أنصار ثورة الفاتح لا يتشبهون بأفراد.. نحن لا نريد أن نكون طرفا في صراع على السلطة، وليس من مطالبنا الحالية الأنية البحث عن حكم ليبيا.. وكل ما نريده هو مناقشة المسألة الليبية بما يمكن من إعادة الاستقرار وفرض الأمن، ونحن نقبل بمن يتفق عليه الليبيون لحكم ليبيا".

ورغم أنه جاء متأخرا وعلى استحياء، إلا أن الاعتراف الدولي أعطى لإنصار القذافي دفعا مهما للتحرك بقوة وتوحيد صفوفهم والاستفادة من علاقاتهم وخاصة مع مصر والجزائر وروسيا وفرنسا وكذلك من نفوذهم الاقتصادي والدبلوماسي في عدد من الدول العربية والأفريقية والأوروبية. ولكنه يحتاج وفق الكثيرين إلى الخروج من دائرة "الفولكلور الجماهيري" بالتوجه نحو الاعتماد على النخب القادرة على القراءة النقدية العميقة لما قبل العام

الشرقية، وفي الأحياء الشعبية بطرابلس، وبين قبائل الطوارق في جنوب غرب البلاد. ولديهم أيضا قوة عسكرية يعتد بها انضم أغلبها إلى الجيش سواء عبر الانتماء الوظيفي أو كقوات مساندة، ومنهم من انضم إلى الميليشيات المعادية للجيش، ولكن بنسبة قليلة، كما لديهم قدرة كبيرة على التجيش والتحشيد في لحظات المواجهة.

ورغم أن أغلب كفاءات وخبرات النظام السابق قد هاجرت إلى دور الجوار والخليج وعدد من الدول الأوروبية والأفريقية وحتى إلى الولايات المتحدة وكندا، إلا أن أغلب العاملين في مؤسسات الدولة حاليا هم ممن تربوا وترعرعوا في ظل النظام الجماهيري، ومنهم عدد من الوزراء والمدراء والوكلاء والسفراء وقيادات الأمن والمخابرات والإعلام والثقافة، غير أن نفوذ الميليشيات يمنع الجميع من التعبير عن ميولاتهم، وخاصة في العاصمة طرابلس.

ويشير المراقبون إلى أن هذا الأمر طبيعي لأن الدولة ما كانت لتستمر في غياب هؤلاء، مقابل استبعاد عناصر بعينها سواء بالاعتقال أو التهجير، وخاصة ممن كانوا ينتمون إلى الدائرة المقربة من القذافي أو من العناصر القيادية في حركة اللجان الثورية أو ممن أعلنوا مواقفهم المعادية للإخوان والمليشيات. لكن حتى هذا الأمر لم يعد همما الآن، فالإمضاء التي جرت، جرت معها الكثير من التشنجات، ويات أنصار القذافي لا يخفون مواقفهم ويعبرون عنها علنا.

### اعتراف دولي متأخر

حاول المبعوثون الدوليون إلى ليبيا تجاهل التيار الجماهيري، لكن قراءة متأنية، جعلت المبعوث السابق غسان سلامة يشير إلى أن العملية السياسية ليست خاصة بهذا أو ذاك، بل يمكن أن تشمل أيضا تشريك سيف الإسلام



كفاعل سياسي. ويتهم مقربون منه أطرافا إقليمية ودولية بالعمل على إقصاء ابن الزعيم الراحل من المشهد، من أجل التمكين للإخوان دون غيرهم، وكذلك من أجل إقصاء طيف واسع من الشعب الليبي من حقه في اختيار من يراه صالحا للحكم. ويرى المسؤول السياسي في جبهة النضال الوطني الليبية، أحمد قذافي السدم، أن سيف الإسلام سيفوز في الانتخابات الرئاسية في حال ترشحه. ويضيف "بشكل تأكيد في حال حضور سيف الإسلام ستكون له الأغلبية، حيث يناصره أنصار ثورة الفاتح والشعب الذي ذاق الويل، والشباب الذي تحدث باسم سيف الإسلام".

ويستحوذ أنصار النظام السابق على مكانة مهمة في المجتمع الليبي، وخاصة في غرب البلاد والوسط والجنوب، ولديهم حضور في المنطقة



مقربون من سيف الإسلام  
يتهمون أطرافا إقليمية ودولية بالعمل على إقصائه من المشهد، من أجل التمكين للإخوان دون غيرهم، وكذلك من أجل إقصاء طيف واسع من الشعب الليبي بحرماته من حقه في اختيار من يراه صالحا للحكم

